

## على منهج الأغاني

بقلم أبي الفرج الأسكندراني

—♦—♦—♦—

### صوت

بأبي من حرم النوم على عيني وناما  
بأبي من أضرم القلب اشتياقاً وهياما  
فقضى الله علينا فزحنا وأقاما  
أذكرى من ليس ينساك وإن لاقى الحماما  
إن من نام لعمري يحسب الناس نياما

\*\*\*

حدثنا الأستاذ أحمد رامي قال : إن هذا الشعر للدكتور ناجي ، وفيه لحن للأستاذ محمد عبد الوهاب يضرب بكل أصابع اليدين على البيان ...

وحدثنا الدكتور زكي مبارك قال : إن الشعر ليس للدكتور ناجي ، وإن للأستاذ رامي عذره الجلي في نسبته إليه ؛ فالنفس الشعرى متقارب بينه وبين العباس بن الأحنف . فكلا الشاعرين من شعراء اللغات ، تحس في أبياته حرارة أنفاسه ، ورقة عواطفه . ولو أني كنت قد وضعت كتاباً عن شعراء القرن الثاني ، لكان ذلك أجدي على القراء وأليق بي من كتاب « النثر الفني » في القرن الرابع ، ولكن الفرصة لم تفت على كل حال . وإن من بدأ حياته الأدبية بالكتابة عن عمر بن أبي ربيعة ، لجدير بأن يجعل للعباس بن الأحنف موضعاً في حياته الطويلة المباركة ، إن شاء الله .

قال أبو الفرج : وهذا وعد تنتظر من الدكتور زكي مبارك وقائه . ولقد عجبتنا من إشارته « الشريف الرضي » على العباس بتصنيفه كتاباً عنه أثناء إقامته في بغداد ! فالشريف وإن جل قدره شاعراً ، وسمت مكانته رجلاً ، فإن العباس أدبه بأن يكتب عنه الدكتور زكي مبارك طبيب « ليلى المريضة في العراق » . أو لعل اسمها ليلى المريضة في المراض ، كما يزعم بعض الناس .

الدكتور إبراهيم ناجي وأهله :

حدثنا الأستاذ صالح جودت قال : إن الدكتور ناجي غضب من نسبة رامي إليه هذه الأبيات وقال : إن فيها تحريفاً ، فصحة البيت الثاني :

بأبي من أضرم القلب اشتياقاً واهتماماً  
وصحة البيت الثالث :

فقضى الله علينا فشحطنا وأقاما

قال الدكتور ناجي : ولست أنا بالذي يقول : « اهتمام » و « شحط » ؛ ولا بالذي يبدأ البيت بقول « بأبي » فهذه لغة أستمينها منسوبة إلى أبناء عصرها ، ولكني لا أقبلها من أبناء عصرى . ولقد كان العباس رقيقاً دمثاً لما قال شحط ، ولم يقل افرقع ؛ وقد كانت الكلمة الثانية تقال في عصره ، فعمد إلى أرق الكلمات . ولكن عصرنا فيه ما هو أرق وأعذب وأصدق في التعبير عن خواجلنا المهذبة ؛ ولكن رامي ( عفا الله عنه ) ينسب لي من شعر القدماء ليرميني بالمدول عن مذاهب المجذدين ، وسأحاربه هو وأمثاله بمثل هذا السلاح حتى يستفيدوا . ثم أنشد :

لأروين لهم من غير قولهم حتى أجدد فيهم عهد حماد  
قال أبو الفرج الأسكندراني : والغريب أن الدكتور ناجي يذكر أحد الحمادين ، ويتهدد بأن يسلك مسالكهم ، ولا يرى أنه بذلك قد « شحط » عن التجديد . ولقد هم أبو الفرج بأن يبدى هذه الملاحظة ، ولكنه خشى أن يؤخذ بها لو أذاعها . فإنه هو أيضاً يعارض كتاب الأغاني وينتحل لنفسه لقب : « أبي الفرج » قال الدكتور زكي مبارك ، وقد أدرك لفظته ما جال بخلد الأسكندراني وإن لم يقله : لا عليك من ذلك ، فالتجديد لا يكون إلا من الراسخين في العلم بالقديم . وهذا مارتن لوثر ما استطاع إنشاء المذهب البروتستانتي إلا لأنه كان قسيساً كاثوليكياً ، وإنني ما أنشأت مذهب البروتستانتية في الأدب العربي إلا لأنني أزهري حدثنا الدكتور زكي أبو شادي ... بل لم يحدثنا بشيء لأنه صاحب مجلة تتمرض للناس بالسوء .

وحدثنا صالح جودت قال : إن حماداً الذي يذكره الدكتور إبراهيم ناجي في قوله .

لأروين لهم من غير قولهم حتى أجدد فيهم عهد حماد  
ليس أحد الحمادين الذين يشير إليهم الدكتور زكي مبارك ، ولكنه الأستاذ محمد علي حماد محرر مجلة ( الشعلة ) فهو أقرب إلى خيال ناجي من هؤلاء الذين علت ذكرياتهم طبعات من غبار القرون . وما كان لناجي ولا لأحد منا نحن المجذدين أن يلتفت هذا الالتفات ، فنحن إنما نستمع الوحي الشعرى من الحياة لا من الكتابة عن الحياة ، ولا من الكتابة عن الكتابة عن الحياة .

محرمه لأنها تكرر لما في هذه اللغة  
إنهم لا يقولون ذلك ولكن أحسب هذا هو الذي يجب أن  
يقولوه. أما وقد قالوا غيره فالذهب عليهم، وما دمت أدون آراءهم فهذه  
هي آراؤهم. أما الذي يقولونه فهو أنهم إنما يرون الجديد جديداً  
بصدوره عن انفعال نفسي جديد، وهم لذلك يزعمون أنهم ينكرون  
الاقتراس من الأدب الغربي كما ينكرون محاكاة العرب الأقدمين  
ولكن الأمر لا يقف عند هذا بل حياة هذا الجيل مقبسة  
من الحياة الغربية إلى حد كبير؛ فالاقتراس عن الغرب في الحياة  
ينشئ في الأدب اقتباساً أصيلاً لا يتناقى مع التجديد. وبذلك  
لا يختلف ما قلته عنهم في حقيقة مع ما يقولون، ولكن الذي  
ينكرونه من الاعراب عن الرأي الذي يدعون به يبيح محاكاة  
العرب والاقتراس من الغرب وعليهم القول وعلى التوضيح

#### استطرد في الفرض من هذا الكتاب

وقبل أن نستأنف التحدث عن حياة الدكتور ناجي وشعره  
تقول إن أبا الفرج الأصفهاني كان يذكر شاعراً والموسيقار الذي  
لحن له. هذا في بعض المصور، وفي عصر آخر يذكر شاعراً  
ومن وقف الشاعر نفسه على مدحه أو هجوه، وفي عصر ثالث  
يذكر شاعراً وراويته، وفي عصر رابع يذكر شاعراً والأمير  
الذي يتولى رعايته أو يتولى خصومته

هذا بأن الشاعر في بعض هذه المصور كان يخشى على شعره  
من النسيان فيتخذ رواية. وفي عصر آخر كان لا يستطيع الحياة  
إلا في كنف أمير، وفي عصر ثالث لا يستطيع الحياة إلا مناوئاً  
مشاعباً، وهو في كل المصور على السواء محتاج إلى من يضع له  
ألفاظاً لشعره، لأن الشعر غناء قبل كل شيء.

من أجل ذلك رأيت أن الشعراء المعاصرين ليسوا في حاجة  
إلى رواية فحسبهم من الرواية المطابع، وليسوا في حاجة إلى من  
يحميهم فللشعوب الآن ما كان للأعراء في سالف الزمان، ولكن  
الذي يحتاج إليه الشاعر المعاصر هو الناقد التزيه.

ولقد وجدت بحمد الله هذا الناقد فساداً ذكر تاريخ شعرائنا  
وشعراء الأقطار العربية مشفوعاً بتاريخ ناقده وبقنده إياه. ومشفوعاً  
كذلك بتاريخ الموسيقار الذي لحن له.

#### عود إلى حياة الدكتور ناجي

هو طيب متأثر بالثقافتين الانكليزية والفرنسية عصبي المزاج نائر  
الآداب مهف بالحس يكلمك فيهنر جسمه كله حماسة وشدة اقتناع

نحن نذكر حماد الشعلة لأننا نراه وتتصل به عن طريق الحواس،  
وهي صلة الفنان بالحياة؛ ولكننا لا نكتب عن العباسيين لأننا  
لا نتصل بهم إلا عن طريق الكتب... والكتب تؤلفها نحن  
ويقرؤها غيرنا... إلا أن تكون بالطبع كتباً أجنبية، فدراسة  
ناجي لشكسبير أمر مقبول، وليس كذلك ما كان قد يفعله  
لأنه يمكن مجدداً فيدرس من يقولون إنهم أشباهه كابن الدمينه  
والعباس بن الأحنف.

قال الدكتور زكي مبارك: هذا بعض الفوارق بيني وبين  
ناجي ومدرسته الحديثة. فأنا منطقي ولا أرى كلام صالح يتمشى  
مع المنطق. أنا أدرس الحياة في حاضرها عن طريق الحس،  
وأدرس ماضيها عن طريق الدرس والخيال، وأدرس مستقبلها  
عن طريق التنويم المغناطيسي. ولقد أفدت من التنويم وما يتصل به  
من الدراسات أن صار في وسمى تعرف ما يجول بنفس محدثي من  
الأفكار والخواطر. وليس ذلك مجرد ذكاء، وإن كنت ذكياً  
وزكياً بالذال والزاي، ولكن عن طريق العلم والدرس. ولن تمر  
غير أشهر قلائل، فأجوز امتحان الدكتوراه للمرة الرابعة ولكنها  
ستكون في هذه المرة في «المازمارتيرم» وسيكون في استطاعتي  
أن أتعرف ما في الكتب دون أن أقرأها. فأكتب عن الشافعي  
مرة أخرى دون أن أعيد قراءة كتاب الأم، وأتقد شعر السيد  
الحميري، وإن كان شعره قد ضاع.

#### عود إلى حياة الدكتور ناجي

هو زعيم المدرسة الحديثة؛ وهذه المدرسة طلبة وفيها مدرسون  
ولكن ليس لها دراسة ولا موضوع قابل للدرس. ولكن في  
التعليقات الشفوية المنفرقة على قصائد الشعراء المعاصرين مادة لو جمعت  
لكانت موضوعاً طريفاً لها. وهذا بعض ما سنتناوله في هذا الكتاب  
وسنتبع طريقة أبي الفرج الأصفهاني في تحقيق الرواية  
والإسناد. ولن نخترع ولن نلفق إلا أن يكون ذلك من  
مستلزمات الكتابة. وكذلك كان يفعله الأصفهاني

ولقد نسب إلى شاعر من غير شعره لأنه كان الواجب أن يقول  
هذا، فإن حاد عن هذا الواجب فالذهب ذنبه هو ولا علينا أن  
نؤكد صدق الرواية. وسنضرب المثل المقتع بأن لنا الحق كله في ذلك  
تتلخص الفكرة العامة لأراء المدرسة الحديثة في هذه  
النظرية: ما دمنا مجتدين في اللغة العربية فالاقتراس عن الغرب  
تجديد لأنه في لغتنا سيكون جديداً. ولكن محاكاة العرب

وإذا سمعت أنيها شاقك ضفدة الحياض  
أصغى فيميت صوتها كل انشراح وانقباض  
الشعر للدكتور ناجي وفيه لحنان أحدها لم يسمع قط، والآخ  
لم يصنع بعد: وكلاهما من صنعة الأستاذ صالح جودت .  
شعر اللطيف الشاعر « يتيم »

قضت حرفته بأن يكافح الموت في كل مريض وهو واسع  
الرجاء واسع الأمل . فرسالته في الأدب لا يمكن أن تكون كرسالة  
أدباء الهند في العصر الحاضر رسالة إذعان وتسليم . وعلى رغم الأمل  
والرجاء المستفادين من حرفة الطب فلا يستطيع أن يخلص من أثر  
الشاهدة للمريض والمكافحة للمرض . وإذا كان السيد يحاكي المسود

كما يقول الاجتماعيون فشعر الدكتور ناجي في  
ساعة إخلاده إلى نفسه واستجاءه ألوان تأثره -  
شعره هذا يحاكي أنين مرضاه وتوجههم

نوع الشعور الذي يبشر به هذا الطبيب  
الشاعر هو التفريغ عن الهم بالتعبير عنه

لذلك يعني صدق التعبير وهو من أدق  
الشعراء المعاصرين إبرازاً للفكرة محدودة بمحدودها  
في تصوره ، فليس في شرح شعره مجال للتأويل  
وليس فيه شيء من النموض . ولكن مجال  
الحياة التي ينظر إليها ويفقد مجال شديد الضيق ؛  
وفي نفس ناجي ثورة مكتوبة منشؤها أنه لم يقل  
كل ما يريد أن يقول . فهو مع أمانته في الإفضاء  
عما شعر به فيما قال لا يزال يخزن الكثير من  
التجارب والشاعر ويمنعه حرصه على صدق  
الأداء أن يقول اللفظ حائماً حول معناه أو قريباً  
منه أو شبيهاً به فيفرج عن نفسه بوسيلة ما  
بالتعبير عنها . وسيظل هذا الكبت ما دام  
محترفاً حرفة الطب التي تشغل الوقت كله والفكر  
كله ، ولكنها لا تشغل كل الشاعر

هذا ما يقوله ناقد عنه وناقده هو الدكتور  
زكي مبارك فإن لم يكن قد كان الواجب أن يكونه  
أما ملحنه فهو الشاعر الموسيقار صالح جودت

### صوت

ليل المريقة في المراض يضاء شاحبة البياض  
مصفرة الميتين تة قل بالدلال وبالتفاضي  
مكتونة ليست تمد من الطوال ولا المراض  
فإذا رأيت ذبولها أبصرت زجسة الرياض



الرجل الذي يكره الفسار والرجال أيضاً .....  
لأن رائحته لم تكن كريهة جداً  
كان هذا الشاب مكرهاً من جميع أصدقائه دون أن يعرف السبب  
لذلك - انهم كانوا يتضايقون من رائحته فلهذا هو لا يدري .  
أخيراً ابتدأ يستعمل معجون كوجيت للأسنان فأصبحت رائحته  
فمه زكية كالعنبر .  
انظر إليه - ان ابتسامته تدل على انه تخلص من رائحة الفم الكريهة وزيادة  
على ذلك أصبحت أسنانه جميلة بيضاء كاللؤلؤ . استعملوا فقط معجون كوجيت للأسنان

